# إحياء التراث الشعري

# لدى شعراء الشباب في عصر النهضة في مصر

# البارودي ....نموذجا


إعداد الدكتور

**محمد محمد إبراهيم حفني**

مدرس الأدب والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

جامعة الأزهـــر

# إحياء التراث الشعري لدى شعراءالشباب في عصر النهضة في مصر

## ( البارودي .....نموذجا )

محمد محمد إبراهيم حفني

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة ، جامعة الأزهر.

البريد الإلكتروني: mmh1975000@gmail.com

**الملخـــص :**

لقد كان التراث بكل أبعاده المرجع والنموذج المحتذى به في عصرالنهضة في مصرلدى شعراء الشباب آنذاك وذلك لربط الحاضر بالماضي..بعد أن كادت حركة الشعرالعربي تموت ، كما أن الارتباط بالتراث هو الحوار معه لتملكه وقراءته ثم تجاوزه وإثرائه ..كما كان من الضروري في عصر النهضة أن تعود علاقة الشاعر العربي بتراثه على ما كانت عليه في عصر الازدهار، بعد أن أضعفت القرون المملوكية العثمانية تلك العلاقة ، واعتبرت التراث المتداول منذ انتهاء العصر العباسي هو التراث الديني والشعبي فقط ؛ فكان لابد من حدوث زلزلة تغير الواقع الجامد ..وتبرهن للمعطيات الجديدة للشاعر وتدلل على وعيه وعلاقته بالتراث وكسره لجمود الشعر..وكان من بين الشعراءالذين وثبوا بالشعرالعربي الحديث وثبة تمثل دوره التأسيسي الإحيائي الذي هو في الأساس دور حداثي..الشاعر محمود سامي البارودي (١٨٣٩م ـــ ١٩٠٤م)..حيث يمثل مرحلة الريادة في الشعر العربي في عصر النهضة ؛ ومما يؤكد ذلك ..أنه ردَّ الشعر إلى طبيعته بعد الضعف والانحلال الذي أصابه ..وهذه الريادة تتمثل في ارتقائه باللغة الشعرية من الأسلوب الركيك إلى المتانة والقوة في العبارة الشعرية ..كما تتمثل هذه الريادة في ان البارودي ردَّإلى الشعر العربي عنصر الذاتية الذي ربما فقده الشعر قرونا طويلة على حد قول بعض النقاد ..وكذلك جمعه لمحتارات من الشعر العباسي .والبارودي يتبارى مع الموروث، دون أن ينسى اسمه أو نفسه أو عصره ..ويرى أن القدامى النموذج تركوا لنا ما يمكن أن نقوله ، وليس كما قال عنترة:( هل غادر الشعراء من متردم ) .

فالبارودي لا يقف عند النسق الثقافي للنص التراثي الذي يشكك في القدرة على التجاوز

الإبداعي ..وترسيخ فكرة إغلاق باب التجاوز وحجر الإبداع النصي ..بل يقوض هذا الإغلاق وموقفه من ديناميكية الإبداع ، ويؤكد قدرته على الإجادة والتميز. حيث ذكر في مقدمة ديوانه أنه كان في ريعان الفتوة واندفاع القريحة ..يلهج بالشعر لهج الحمام بهديله ، ويأنس به أنس العديل بعديله.

والمأمول في هذا البحث ـ بعون الله ـ أن نضع أيدينا على أثر البارودي ودوره الريادي في مرحلة الشـباب ..ومدى ارتباطه القوي بالتراث الأدبي العربي عبر القرون ..ومحاولته الجادة في إحياء التراث الشـعري العربي ..ليقتفي أثره شـباب الأمة في الربط بين التطور والارتباط القوي بالهوية العربية والإسلامية ..لغة ..وأدبا .ونقدا .

# Reviving the Poetic Heritage of Youth Poets in the Age of Renaissance in Egypt (Al- Baroudi as a Model)

**By:** Mohammed Mohammed Ibrahim Hefny
Department of Arabic Language and its Literature
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Cairo
Azhar University

**Abstract**

The literary heritage has been, in all its respects, the source and a good model for youth poets of the renaissance age in Egypt so that the present could be connected to the past whence the movement of Arabic poetry was about to disappear. Getting connected with the heritage signifies subjecting it to dialogue, own and read it then going far beyond to enrichment. It was also necessary in the age of renaissance to revive the relationship between the Arabic poet and his heritage to its state during the age of prosperity after the centuries in which the Mamluks and the Ottomans caused that relation to deteriorate and considered the circulated heritage since the end of the Abbasid period to be religious and folkloric. Hence, there was a need for an earthquake to change this static reality and prepare the ground for a new context and give clues to emphasize the awareness of the poet, his relationship with the heritage and overcoming the impasse of poetry. Mahmoud Sami Al- Baroudi (1839- 1904 A.D) was one of the Arabic poets who helped modern Arabic poetry take a giant leap that constituted a modernized, founding and reviving process. Al- Baroudi embodied the pioneering era of the Arabic poetry in the age of renaissance and this could be confirmed by allowing poetry to return to its nature after the deterioration it experienced. Accordingly, this research traces the impact of Al- Baroudi, his pioneering role in the phase of youth and his strong relationship with the Arabic literary heritage along centuries. It also highlights his serious attempt to revive the Arabic poetic heritage so that the youth of the nation can trace his impact on the development of poetry and its powerful connection to the Arabic and Islamic identity regarding language, literature and criticism.

**Keywords**: reviving, heritage, youth, Arabic poetry, Al- Baroudi, the age of renaissance, impact.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد،،،

فإن التراث الشعري أصبح ثقافة متداولة لا غنى عنها، فهو يحمل بين طياته مادة ثرية مليئة بالقيم الإنسـانية الصـالحة للبقاء والتداول في العصـر الحديث والتراث هو الإرث الذي خلفه أسـلافنا، وهو كلمة السر التي تتحدد من خلالها معالم هويتنا.. وقديما قالوا: الشعر ديوان العرب، ويقصد بالشعر هنا التراث الشعري القديم.. وقد أحس شعراء الشباب في مصر منذ بداية عصر النهضة ــ الذي يبدأ في تاريخ الشعر العربي الحديث بمحمود سامي البارودي- بأن الشعر العربي لا يمكن أن يثبت وجوده، ولا تظهر أصالته إلا إذا كان على صلة بتراثه وارتباط بماضيه، وأيقن هؤلاء الشعراء أن انقطاع الشعر عن تراثه في أي عصر من العصور؛ إنما هو حكم على ذلك الشعر بالذبول ثم الموت، لانقطاع جذوره عن منابع الحياة في تربة الماضي التي تمنحه القدرة على البقاء والنمو.. ولقد كان الشاهد أمام أعينهم حيًا في نتاج تلك المرحلة الطويلة التي اتسـمت بالضـعف والانحدار التي عاناها شـعرنا العربي منذ أواخر العصر العباسي حتى فجر النهضة بسبب انقطاع صلته بتراثه العريق في عصور قوته وازدهاره، وانطوائه على ذاته يجتر أشكالا عروضية خاوية من المعنى ومن كل نبض شعري صادق إلا في القليل، وتحول الإبداع الشـعري إلى نوع من المهارات اللفظية المصـطنعة، والألغاز، واللعب بالكلمات، حتى وصـل إلى مرحلة من الضـعف لم يصـل إليها من قبل عبر تاريخه الطويل.. فاكتشـف محمود سامي البارودي بفطرته الشعرية السبب الرئيس وراء هذا الضعف، وأدرك ـ على حد قول بعض النقاد: أنه لا نجاة لشـعرنا من الهوة التي انحدر إليها بغير ربطه بتراثه العريق، ووصـل أسـبابه بما في ذلك التراث من عوامل القوة والنماء، ومن ثم عكف على هذا التراث يسـتوعبه ويتمثله ويعمل على بعثه وإحيائه لا في وجدان الناس وعقولهم فحسب؛ وإنما كذلك في شعره؛ وذلك لإحساسه بغنى التراث

وثرائه بالإمكانات الفنية ومعطياته ونماذجه التي تمنح القصيدة المعاصرة طاقات تعبيرية لا حدود لها.. وذلك لأن المعطيات التراثية تكتسب لونا من القداسة والحضور الحي الدائم في وجدان الأمة وذاكرتها.. كما أن في إحياء التراث كشفا لقيم فكرية وروحية وفنية صالحة للبقاء والاستمرار. كما أن التراث هو أحد الجذور القومية التي ترتكز عليها الأمة في مواجهة أي ريح عاصف يمنحها يقينا راسخا بأصالتها وعراقتها، تشحذ من خلاله العزائم وتوقظ به ضمائر الأمم والشعوب حينما يسيطر عليها إحساس بالضياع والإحباط.. ولتحقيق إحياء التراث الشعري، سلك البارودي مسلكين متوازيين: الأول هو بعث ذلك التراث العريق وإحياؤه في أذهان الناس ووجدانهم عن طريق اصطفاء مختارات من هذا التراث وتقديمها للناس كنموذج للشعر الحقيقي الأصيل في مقابل ذلك النموذج الآخر الذي مجته أسماعهم من نتاج عصر الضعف، والثاني هو محاكاة ذلك النموذج في نتاجه، عن طريق إحياء ذلك الأسلوب القوي الجزل في التعبير الشعري الذي افتقده الشعر العربي خلال عصر الضعف، وكذلك معارضته الفحول من شعراء عصور الازدهار والقوة.. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث، في كونه يشير إلى مرحلة فارقة من مراحل تطوير الشعر العربي وتحديثه بالإحياء والتواصل مع التراث عبر الأجيال.. هذه المرحلة التي أسس لها الشاعر الكبير شاعر الإحياء محمود سامي البارودي.. ثم كان شوقي وحافظ وحفني ناصف.. الذين أكملوا المسيرة.. حيث استطاعت هذه المدرسة أن تعيد إلى الذاكرة العربية صورة القصيدة العربية في عصورها الزاهية، حيث حرص الإحيائيون على النظم في الاتجاه الكلاسيكي من الشعر العمودي في صوره وأوزانه وقوافيه ورويه، وظل المحتوى أيضا في معظمه في نفس الموضوعات الموروثة بين مدح وهجاء ووصف وغزل ورثاء.. والجانب الوطني والقومي.. ومن هنا كان إحياء التراث ضرورة بعامة وفي الشعر بخاصة.

**الأسباب وراء اختياري للكتابة في هذا الموضوع وهو إحياء التراث عند البارودي فيشمل فيما يلي :**

**أولا -** أن تراث الأمة يعد جزءا أصيلاً لا ينفك عن فكرها ووجدانها وهو الكافل لصحة مسيرتها والحافظ لهويتها وذاكرتها، وهو ما استشعره الشاعر العربي القديم حين قال:

ما أرانا نقول إلا معارا أو معادا من قولنا مكرو

حيث رأى نفسه ينسج القول على منهاج أسلافه... وكما قال شاعر الإحياء وأمير الشعراء:

مثل القوم نسوا تاريخهم كلقيط عي في الناس انتسابا
أو كمغلوب على ذاكرة يشتكي من صلة الماضي انقضابا

من هذا المنطلق تتجلى أهمية التراث وتعظيمه في توثيق تاريخها، وثمة فرق بين أمة ضاربة بجذورها في أعماق الزمن.. وبين أمة مرحلية تفتقد إلى هذه الأصالة والعمق التراثي[١] .

**ثانيا-** لا يزال الشاعر الكبير محمود سامي البارودي بعيدا عن منزلته من التقدير بما له من دور رائد فريد في إحياء التراث الشعري في عصر النهضة مع أن هناك دراسات كثيرة دارت حول شعره؛ إلا أن مكانته الشعرية تحتاج إلى وقفة، إذا قورنت بأقرانه من شعراء مدرسة الإحياء.. حيث إن شاعريته تتسم بالجزالة والفصاحة وقوة الأسر.. فهو يذكرنا في شعره بقدامى الشعراء إلا أن له ذاتيته الشعرية تتبدى بصورة رائعة خاصة في قصائده التي قالها وهو يعاني لهفة الشوق إلى مصر المنفى.. حيث كان في المنفى الذي ظل به سبعة عشر عاما قضاها بين الشوق والحنين الطاغي والمرارة وخيبة الأمل في الأصدقاء وانتظار المستحيل إلى أن تهدمت صحته وفقد ثقته بالناس أجمعين لكنه لم يفقد ثقته القوية في نفسه، فترك لنا روائع من شعره ما يحله مكانة راسخة بين الخالدين من الشعراء على مر العصور... حيث عاش محمود سامي البارودي تجربة حياة رائعة بين الحرب والأدب والثورة وكان فارسا بطلا وشاعرا عبقريا ورئيسا للوزراء ولكن الشعر هو الذي بقي له بعد أن هجرته المناصب وزالت الرتب.. والشعر هو الذي أبقاه لنا شاهدا صادقا على نفس عزيزة وتجربة هائلة وترفع نبيل وهو يذكرنا على حد قول أحد النقاد[٢]: بقوة شاعر يناظره في الشاعرية والموقف والتجربة وهو أبو فراس الحمداني فكلاهما قد ذاق مرارة الخذلان والاغتراب.. فأبو فراس وقع في الأسر.. والبارودي نفي إلى سراديب.

(١) ينظر: الحوار الثقافي (مشروع التواصل والانتماء) د. عبدالله التطاوي، صـــ ١٨٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.

(٢) ينظر: ربيع الكلمات، محمد إبراهيم أبوسنة، صـ٥٨، ٥٧. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٩١م.

**ثالثا-** أن البارودي ردَّ إلى الشعر العربي عنصر الذاتية الذي ربما فقده الشعر قرونا طويلة على حد قول بعض النقاد[1].. والبارودي يتبارى مع الموروث، دون أن ينسى اسمه أو نفسه أو عصره.. ويرى أن القدامى النموذج تركوا لنا ما يمكن أن نقوله، وليس كما قال عنترة: (هل غادر الشعراء من متردم) يقول البارودي إن التالي (المحدث) قد يبذ (القديم) مهما تكن سطوته ومهما يكن تفوقه، يقول:

كم غادر الشعراء من متردم ولرب تالٍ بذ شأو مقدم

وهنا نرى أن البارودي لا يقف عند النسق الثقافي للنص التراثي الذي يشكك في القدرة على التجاوز الإبداعي.. وترسيخ فكرة إغلاق باب التجاوز وحجر الإبداع النصي.. بل يقوض هذا الإغلاق وموقفه من ديناميكية الإبداع، ويؤكد قدرته على الإجادة والتميز. حيث ذكر في مقدمة ديوانه أنه كان في ريعان الفتوة واندفاع القريحة.. يلهج بالشعر لهج الحمام بهديله، ويأنس به أنس العديل بعديله.

**منهجي في البحث**: المنهج الاستقرائي مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى. وقد انتهج البحث خطة، جاء تقسيمها إلى مقدمة وتمهيد وفصلين ثم الخاتمة.

**أما المقدمة**: فقد تضمنت أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والمنهج الذي سرت عليه.

**وأما التمهيد**: ففيه (حياة البارودي وإبداعاته).

**وأما الفصل الأول**: ففيه (مدرسة البارودي الشعرية وعلاقته بالتراث). وفيه مبحثان:

**المبحث الأول**: مدرسة البارودي الشعرية (الإحياء).. مرحلة فارقة في إحياء التراث الشعري شاعرية البارودي.

**المبحث الثاني**: علاقة الشاعر بالتراث.

**الفصل الثاني**: إحياء التراث الشعري وأنماطه عند البارودي...

**وفيه:**

**المبحث الأول: الجانب النظري**: ويشتمل على تصوره لمفهوم الشعر.. واحتذائه للشعراء القدماء،

(١) قراءات نقدية بين التأسيس والممارسة، د. عبد الناصر حسن، ص٢٨٩، ٢٨٨، الهيئة العامة للكتاب، ط، ٢٠١٢م.

ومختاراته الشعرية التي جمعها من عيون الشعر العربي.

**المبحث الثاني: الجانب التطبيقي:** ويشتمل على البناء التقليدي للقصيدة العربية في معظم شعره.. تأثره في شعره بالمعاني والأفكار السابقة، واحتذاؤه للظواهر الأسلوبية، ومعارضته للشعراء القدامى.

**الخاتمة:** وفيها كانت الخلاصة لأهم النتائج التي توصل إليها البحث من خلال الدراسة، ثم كان ملخص البحث بالعربية والأجنبية.. وفهرس المراجع والمصادر والموضوعات .

هذا وإني لأدعو الله عزوجل أن يلهمنا التوفيق والسداد والرشاد . . فيما تناولته من هذا البحث، إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو نعم المولى ونعم النصير.

## التمهيد

### حياة البارودي وإبداعاته

### (١٢٥٥هـ-١٣٢٢هـ) / (١٨٣٨م-١٩٠٤م)

**ترجمته**[١] : محمود سامي بن حسن حسني البارودي كان جده ملتزما للبارود في البحيرة إيتاي البارود، ولهذا انتسبت العائلة إليها وهو جركسي من أصل مملوكي.. كان أبوه من أمراء المدفعية في السودان، وهناك ولد محمود سامي البارودي في٧/ ١٠/ ١٨٣٩م، وفقد والده في سن السابعة؛ فتولت أمه تربيته من بعده واستقدمت له المعلمين لمنزل الأسرة على عادة ذوي الجاه في هذا العهد.. وأخذ يطلع منذ سن مبكرة على علوم اللغة العربية، فقرأ القرآن الكريم وأتم حفظه.. ينتمي البارودي لأسرة عريقة كان لها شأنها في الجاه والسلطان والحكم، فأخذت أمه تنمي فيه روح التطلع إلى المجد، وتمثل تاريخ أجداده، وأخذت تذكي فيه نار هذا التطلع منذ البداية، وأخذت تقص عليه أمجاد أجداده في حربهم ضد الاحتلال الفرنسي.. كان إبراهيم البارودي خاله شاعرا، وكان يقيم الندوات الأدبية في داره، ولكنه توفي في شبابه.. فتحفظ له أخته أم محمود البارودي شعره.. ولذلك كان يقول البارودي:

أَنَا فِي الشِّعْرِ عَرِيقٌ لَمْ أَرِثْهُ عَنْ كَلالَهْ
كَانَ إِبْرَاهِيمُ خَالِي فِيهِ مَشْهُورَ الْمَقَالَهْ

وتقص عليه الأم قصة أبيه بعد التحاقه بمدرسة الحربية سنة ١٨٢٥م ونشأته بعد مقتل أبيه في مذبحة القلعة، وشجاعته وتفوقه وتطلعه إلى تخليد ذكرى الأمجاد؛ فتتأصل في نفس الفتى مشاعر الفروسية والتي كانت السبيل إلى المناصب العليا.. عكف البارودي من خلال هذا الجو الشاحذ

(١) ينظر ترجمته في: ذيل تاريخ الأدب العربي الحديث، كارل بروكلمان، ترجمة سعيد حسن بحيري، ج١الشعر/ ٢٤، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٧م. البارودي رائد الشعر الحديث، د. شوقي ضيف، ص٤٦- ٥٦ دار المعارف، ط٥، ١٩٨٨م. في الأدب الحديث، أ/ عمر الدسوقي، ج١/ ١٨٦، صـ٢١٢-٢١٤، دار الفكر، ط٨، ١٩٧٣م.
ودراسات نقدية في الشعر والقصص، د. حلمي بدير، صـ١٦-٢٤. دار الثقافة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٣م؟

لهمته والمحيط به، ينهل من التراث العربي الشعري وهو شغف به، يثقف نفسه ولسانه ويقوم لغته وأسلوبه.. أتم البارودي تعليمه الابتدائي سنة ١٨٥١م وهوفي الثانية عشرة، ثم التحق بالمدرسة الحربية في نفس العام، وأخذ يتعلم فنون الحرب والقتال ويتخرج من مدرسة الحربية بعد أربع سنوات.. ويبدأ البارودي حياة جديدة بعد مرحلة الدراسة؛ فيعكف على القراءة في الأدب والتاريخ ويتجه شعوره نحو مصر، فلا يجد له بلداً سواها، ويحس بأن مصريته الناشئة قد هدته إلى الانتماء وجدانا لهذا الشعب فيقول:

سل مصر عني إن جهلت مكانتي تخبرك عن شرف وعز أقدم
بلد نشأت مع النبات بأرضها ولثمت ثغر غديرها المتبسم
فنسيمها روحي ومعدن تربها جسمي وكوثر نيلها محيا دمي

سافر البارودي لإكمال دراسته في استانبول حيث اشتغل بوزارة الخارجية فيها، وهناك تعلم التركية والفارسية.. وفي الحرب على روسيا قاد القوات التي أرسلتها مصر لمساندة تركيا سنة ١٨٧٧م وأبلى بلاء حسنا فرقي إلى رتبة لواء... وفي سنة ١٨٧٨م عين مديرا للشرقية، ثم محافظا.. وفي سنة ١٨٧٩م ولي وزارة الأوقاف، وعمل على إعادة الضائع من حقوق الأوقاف إليها؛ فأنشأ المجالس لهذا الغرض، وجمع الكتب والمخطوطات الموقوفة المتفرقة في المساجد، ووضعها في مكان أمين، وكانت أكبر مجموعة تم بها تأسيس دار الكتب المصرية.. وحين دخلت البلاد الحرب ضد انجلترا اشترك في آداء الواجب في الدفاع عن بلد أجداده مع عرابي في الثورة العرابية، وعين رئيسا للوزراء، وبعد دخول الانجليز مصر.. وقع في الأسر ونفي بعد هزيمة عرابي سنة ١٨٨٢م إلى سرانديب وظل سبعة عشر عاما من أفضل سنوات عمره من جهة قرض الشعر.. حيث انطلق يعبر عن مكنون ذاته من خلال شعره.. وفي سنة ١٨٨٥م ينعي إليه الناعي زوجته في القاهرة، وهو في ريعان الشباب.. فيتزوج من ابنة صديقه وزميله في الاغتراب؛ فتعيد له جانبا من البهجة وتنجب له الأبناء فيعود إلى حياة كان قد افتقدها طويلا.. ولكن يشتد المرض بالبارودي في منفاه؛ فيجزع أصحابه وأهله بالقاهرة.. ويلحون عليه ليقدم ملتمسا للخديوي عباس للعفو عنه وعودته لمصر ويكلل المسعى بالنجاح..

وتصل الباخرة مقلة البارودي إلى ميناء السويس في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٩٩م.. ويستقبل مصر والدموع تنهمر من مآقيه.. ويلتقي بعد طول غياب بوطنه الحبيب.. ويعود البارودي من حلوان إلى منزله في باب الخلق سنة ١٩٠٠م، حيث يصبح ملتقى الأدباء والشعراء، ويجتمع حوله إسماعيل صبري، وأحمد شوقي، وخليل مطران، وحفني ناصف، وحافظ إبراهيم، ومصطفى صادق الرافعي، والشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا وغيرهم من الشعراء والأدباء.. ينهلون من شعر البارودي ويعرضون القضايا الأدبية المختلفة.. ولا يلبث البارودي أن يلبي نداء ربه في ديسمبر سنة ١٩٠٤م.. وهكذا كانت الحرب تجربة في حياة البارودي وشعره كذلك.. ففي غمرة الحرب كتب معظم قصائده رحمه الله وأجزل له المثوبة بما قدم للعربية من خدمة جليلة من خلال أشعاره وكتاباته.

**إبداعات البارودي:**

١-ديوان البارودي أربعة أجزاء في مجلدين، ضبط وشرح وتصحيح علي الجارم، ومحمد شفيق معلوف، وتقديم محمد حسين هيكل. ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٥م.

٢- مختارات البارودي أربعة أجزاء، حققها وشرحها مجموعة من الباحثين، إشراف ومراجعة د. محمد مصطفى هدارة. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بالاشتراك مع مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، سنة١٩٩٢م.

٣- قيد الأوابد.. مختارات نثرية. بها عيون الرسائل والخطب والتوقيعات.. مخطوطة.

٤- كشف الغمة في مدح سيد الأمة، مطبعة الجريدة بسراي البارود، سنة ١٣٢٧هـ.

٥- أوراق البارودي، المجموعة الأدبية، دراسة وتحقيق وشرح دكتور. سامي بدراوي، المركز العربي للبحث والنشر، ١٩٨١م.

**الدراسات السابقة عن البارودي:**

تعددت الدراسات التي تناولت شعر البارودي وعصره وحياته ومنها:

١-محمود سامي البارودي، د. عمر الدسوقي، ضمن سلسلة نوابغ الفكر العربي، دار المعارف، ١٩٥٣م.

٢- شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي. العقاد، نهضة مصر، ١٩٦٣م.

٣-محمود سـامي البارودي، د. علي محمد الحديدي، سـلسـلة أعلام العرب، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م.

٤-البارودي شاعر النهضة، د. علي الحديدي. مكتبة الأنجلو المصرية، ط، ١٩٦٩م.

٥- مقدمة الديوان، للدكتور محمد حسين هيكل، ج١، ط١، دار المعارف ١٩٧١م.

٦-في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، دار الفكر، ط ٨، ١٩٧٣م.

٧- تطور القصـيدة الغنائية في الشـعر العربي الحديث، د. حسـن أحمد الكبير، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م .

٨-مدارس الشـعر العربي في العصـر الحديث، د. صـلاح الدين محمد عبد التواب. مطبعة السـعادة، ط١، ١٩٨٢م .

٩-الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، د. محمد الكتاني الجزء الأول، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب ١٩٨٢م .

١٠- الأدب العربي المعاصر في مصر، د. شوقي ضيف. ط٨، ١٩٨٣م.

١١- دراسات نقدية في الشعر والقص، د. حلمي بدير. دار الثقافة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٣م.

١٢- الاتجاه الوجداني في الشـعر العربي المعاصـر، د. عبد القادر القط. دار النهضـة العربية، ط٢، ١٩٨٣م .

١٣- البطولة في الشعر العربي، د. شوقي ضيف. دار المعارف، ١٩٨٤م.

١٤- تاريخ الأدب العربي في العصر الحاضر، د. إبراهيم أبو الخشب. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط، ١٩٨٤م .

١٥- الأدب العربي الحديث، د. محمد عبد المنعم خفاجي. ج١. مطبعة الكليات الأزهرية، ١٩٨٥م.

١٦- البارودي رائد الشعر الحديث، د. شوقي ضيف. ط٥، دار المعارف، ١٩٨٨م.

١٧-ربيع الكلمات، محمد إبراهيم أبو سنة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط، ١٩٩١م .

١٨- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د. علي عشري زايد. دار الفكر العربي، ١٩٩٧م.

١٩-الشعر واللغة، د. لطفي عبد البديع، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط ١٩٩٧م .

٢٠-تطور الأدب الحديث في مصر، د. أحمد هيكل، ط٧، دار المعارف، ١٩٩٧م .

٢١-ذاكرة للشعر، د. جابر عصفور. الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م.

٢٢- التطور والتجديد في الأدب العربي الحديث، د. طه عبد الرحيم عبد البر، ط المؤلف، ٢٠٠٢م.

٢٣- جدليات النص الأدبي، د. محمد فتوح أحمد، دار غريب للنشر والتوزيع القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٤- تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان، في حديثه عن الشعر العربي الحديث وأعلامه، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٥- الشعر والتراث، د. مدحت الجيار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٦-دراسات في الأدب المصري الحديث، د. كمال نشأت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط، ٢٠٠٩م .

٢٧-أحمد شوقي، بقلم د. زكي مبارك، إعداد وتقديم، كريمة زكي مبارك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢٠٠٩م .

٢٨- قراءات نقدية بين التأسيس والممارسة د. عبد الناصر حسن. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢٠١٣م.

٢٩-مدارس الإبداع والنقد (صيغ التواصل)، د. عبد الله التطاوي، دار غريب للطباعة والنشر، ط، ٢٠١٦م .

٣٠- تيارات ومذهب أدبية حديثة، د. حسني حسن عازل. ط المؤلف.

٣١-التحولات الفنية في الشعر المعاصر (متابعة في الرؤية والفن)، د. محمد إبراهيم الطاووس، النهضة المصرية.

بالإضافة إلى كثير من الكتب المدرسية والجامعية ورسائل الماجستير والدكتوراه التي لم أحصل

عليها.. لكن فيما أعلم، لم يكتب بحث خاص عن إحياء التراث الشعري في شعر البارودي، إلا بعض الإشـارات الموجزة في كتاب الدكتور. محمد إبراهيم الطاووسـي المذكور سـالفا التحولات الفنية في الشعر المعاصر (متابعة في الرؤية والفن) لهذا يعد هذا البحث المتواضع أول دراسة حول إحياء التراث الشعري في شعر البارودي.

## الفصل الأول

## (مدرسة البارودي الشعرية. وعلاقته بالتراث).

وفيه مبحثان:

## المبحث الأول

### (أ): مدرسة البارودي الشعرية (الإحياء).. مرحلة فارقة في إحياء التراث الشعري:

لقد ظل الشعر العربي مرورا بالعصور المختلفة من العصر الجاهلي وحتى العصر العباسي، محتفظا بعوامل قوته وازدهاره التي أكسبته القدرة والعطاء على التجدد والتفاعل مع الأحداث التي مر بها.. ثم ما إن شهد العصر العباسي تطورا حضاريا وثقافيا.. حتى سلك بعض الشعراء في قصائدهم مذهب التعقيد والزخرف.. وعلى رأسهم أبو تمام.. ثم استطاع كثير من الشعراء أن يطوعوا ظواهر البديع في شعرهم.. حتى أتى الشعراء من بعدهم فتصنعوا في استخدام البديع بداية من عصر الدول والإمارات إلى العصر المملوكي.. حتى طغت ظواهر المحسنات البديعية وتوابعها من الألاعيب اللفظية على الشعر العربي، وهذا ما أدي إلى جمود الشعر بدرجة كبيرة، ثم جاء العصر العثماني ١٥١٧م / ٩٢٣هـ، حتى أصبح الأدب في حالة كان من المؤمل منها الأفضل. ولكن وُجدت نماذج نثرية وشعرية هزيلة، ليس وراءها صدق إحساس أو فنية تعبير.. حتى كان عصر إرهاصات النهضة سنة ١٨٦٣م في عهد الخديوي إسماعيل، بإرسال البعثات العلمية، وفتح المدارس، وقيام الأزهر الشريف بدوره الريادي بالتوازي مع مدرسة دار العلوم على يد على مبارك، والاهتمام بالطباعة، حيث تم إحياء عد من الكتب التاريخية والأدبية العربية كما تم نشر عدد من دواوين الشعر التراثية بفضل الصحف والمجلات.[١]

ويعتبر صالح مجدي ومحمود صفوت الساعاتي من الشعراء الذين بزغت في أشعارهما ومضات التجديد التي فتحت الباب بعد ذلك واسعا أمام نهضة أدبية حقيقية تزعمها البارودي وعدد من كبار

(١) ينظر: الأدب العربي المعاصر، د. شوقي ضيف، صـ٣٩، دار المعارف مصر، ط، سنة ١٩٨٨م، وتطور الأدب الحديث في مصر، د. أحمد هيكل، صـ٣٧، دار المعارف، ط٣، ١٩٩٩م .

الشعراء على اختلاف مدارسهم.. ومن هنا كانت مدرسة الإحياء والبعث، وهـــذا هـــو الاسم الغالب على المدرسة التي تمت على يديها نهضة الشعر العربي الحديث؛ إلا أن هذه المدرسة تختلف مسمياتها تبعا لاختلاف الدراسين وتباين مواقفهم من أصحابها فسميت بأسماء أخرى: مثل: الاتجاه المحافظ البياني، والمدرسة التقليدية، والكلاسيكية الجديدة، والإحياء والنهضة، والبعث والأصالة، والاتجاه الموضوعي في مقابل الاتجاه الذاتي.. وبعيدا عن هذه المسميات؛ فقد كان لهذه المدرسة بقيادة البارودي الفضل في رد الشعر العربي الحديث إلى جادة الطريق بعد أن حاد عنه؛ ذلك أن عمد هذه المدرسة استطاعوا أن يعبروا عن قضايا عصرهم والأحداث الجارية من حولهم مستخدمين في ذلك قالب القصيدة العربية وأسلوبها ولغتها الجزلة.. ومن أبرز رواد هذه المدرسة البارودي، وشوقي وحافظ(١).

إذن ظهرت مدرسة الإحياء في زحام أجواء حركة الإصلاح والتنوير.. وقدمت إنجازا حضاريا في ظلال البدايات المبكرة بالتوازي مع ثورة عرابي وظهور شاعر السيف والقلم.. ثم كان دور شوقي وحافظ لاستكمال مسيرة مدرسة البعث للموروث العربي.. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تعيد إلى الذاكرة العربية صورة القصيدة العربية في عصورها الزاهرة.. فكان جزءا من المكون الثقافي للمدرسة أن يتعايش بعض شعرائها الكبار مع شعراء العصور الأولى.. وكان عصر هذه المدرسة هو عصر الثراء الفكري والوجداني على مستوى بقية المدارس والاتجاهات الأدبية والنقدية(٢).

وبالتالي كانت القصيدة الإحيائية تأليفا جديدا، أو صياغة جديدة لقصائد الشعر القديم التي تجمعت وتراكمت في مناطق الوعي واللاوعي من ذاكرة الشعر الإحيائي، تلك التي تحولت إلى مبدأ حاســـم في الإبـــــداع الشعري، ولا أدل على ذلك من أن القصيدة الإحيائية لا تكف عن تذكيرنا بأصولها مؤكدة قول البارودي: إن التذكر للنفوس غرام، وهو قول يبرز المكانة الأولى التي احتلتها

(١) ينظر: تطور الأدب الحديث في مصر، د. أحمد هيكل، صـ٣٨، ٣٧.

(٢) ينظر: مدارس الإبداع والنقد (صيغ التواصل)، د. عبدالله التطاوي، ١٢١ـــ ١٢٢، بتصرف، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠١٦م.

الذاكرة في الشعر الإحيائي، كما يؤكد الدور الذي قامت به القصائد المتذكرة بوصفها الإطار المرجعي لعنصر القيمة في فعل الإحياء الذي لم يكن في واقع التأويل سوى نوع من البعث الذي انبثق به الموروث في ميلاد جديد بواسطة الشاعر الإحيائي الذي استعاد سلفه القديم من الذاكرة[١].

ومن هنا كان وعي الشاعر الإحيائي بتراثه قد عاد مرة أخرى.. ومن ثمَّ تحول التراث الشعري عند مدرسة الإحياء إلى نموذج يحتذى به، ولكن دون تبعية أوجمود أو إلغاء لذاتية الشاعر.. كما لجأ شاعر الإحياء إلى استلهام التراث في شعره لكسر جمود الشعر الركيك في العهد العثماني.. فكان التراث بكل أبعاد النموذج المحتذى به وذلك من خلال إرجاع طريقة القدماء الشعرية إلى الشعر الإحيائي في المعجم والأسلوب، والبديع والتصوير.

وفي الانتقال من دور الركود والجمود في الشعر إلى دور النهضة والإجادة أربع مراحل: أولها دور التقليد الضعيف أو التقليد للتقليد.. وثانيها: دور التقليد المحكم أو التقليد الذي للمقلد فيه شيء من الفضل.. وثالثها: الابتكار الناشئ من شعور بالحرية القومية... ورابعها: الابتكار الناشئ من استقلال الشخصية أو من شعور بالحرية الفردية.. ومكان البارودي من تلك المراحل الأربعة في الطليعة من مرحلة الابتكار التي يأتي بها الشعور بالحرية القومية، ولكنه يقلد أحيانا.. ويبتكر أحيانا كما يبتكر الشاعر الطليق بين أحداث المعاصرين.. وله على هذا ميزة لا نظير لها في تاريخ الأدب المصري الحديث، فقد وثب بالعبارة الشعرية وثبة واحدة من طريق الضعف والركاكة إلى طريق الصحة والمتانة، وأوشك أن يرتفع ها الارتفاع بلا تدرج ولا تمهيد ... فإذا أرسلت بصرك خمسمائة سنة وراء عصر البارودي لم تكد تنظر إلى قمة واحدة تسامية أو تدانيه... [٢]

**(ب) : شاعرية البارودي:**

تعد شاعرية البارودي من الشاعرية العبقرية.. ولعل ما أعانه على موهبته الفذة في الشعر نشأته

(١) ذاكرة للشعر، د. جابر عصفور، صـ٢٦، ٢٥، الهيئةالمصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة، سنة ٢٠٠٢م.

(٢) ينظر: شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، العقاد، صـ١٠٩ـ ١١١. بتصرف. نهضة مصر، ط، ١٩٦٣م.

على الشجاعة والفروسية؛ مما جعله يشعر في ضميره بأنه فارس من طراز آبائه المماليك الذين اشتهروا بفروسيتهم وزاد في اندلاع ذلك بنفسه التحاقه بالمدرسة الحربية وانتظامه في سلاح الفرسان، ثم ما كان من قراءاته في شعر الحماسة ووقوفه على سيرة فرسان العرب في مستهل صباه وشبابه.. يقول الشيخ المرصفي في كتابه الوسيلة الأدبية: هذا الأمير الجليل ذو الشرف الأصيل والطبع البالغ نقاؤه والذهن المتناهي ذكاؤه لم يقرأ كتابا في فن من فنون العربية، غير أنه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلا إلى قراءة الشعر وعمله، فكان يستمع بعض مَن له دراية، وهو يقرأ الدواوين، أو يُقرأ بحضرته، حتى تصور في برهة يسيرة هيئة التراكيب العربية.. فصار يقرأ ولا يلحن.. ثم استقل بقراءة دواوين الشعر ومشاهير الشعراء من العرب وغيرهم، حتى حفظ الكثير منها دون كلفة..، واستثبت جميع معانيها ناقدا شريفها من خسيسها. (١).

أما عن أغراض الشعر عند البارودي، فقد طرق البارودي جميع أغراض الشعر قديمها وحديثها.. فمن الأغراض القديمة: الرثاء غير أنه لم يرث إلا صديقا أو قريبا..، وكذلك المديح.. وكان خاليا من المبالغات.. كذلك قال البارودي في الفخر.. والحكمة والزهد إلى جانب معارضته لفحول الشعراء القدامى أما عن ملامح التجديد في شعره في الوصف.. والشعر السياسي.. والغزل.. والهجاء الاجتماعي.. ولعل ما يميز البارودي من شعره، أنه قد أظهر أن للشاعر رسالة سامية ينبغي ألا يحيد عنها... كما خلص الشعر من الوصمة التي لحقت به آمادا طويله.. وهو أنه وسيلة للتكسب.. يقول البارودي:

والشعر زين المرء ما لم يكن وسيلة للمدح والذَّام

ولهذا يؤكد كثير من النقاد، أن البارودي كان مجددا في عصره.. لذا كان أثره فيمن أتى بعده من الشعراء، حيث اتخذوه نموذجا يُحتذى به دون أن تفنى شخصياتهم.. وممن تتلمذ عليه: شوقي وحافظ وإسماعيل صبري والرافعي ومحمد عبد المطلب وعلي الجارم وأحمد محرم.. وقد تميزت

(١) ينظر: البارودي رائد الشعر الحديث، د. شوقي ضيف، صـ٩٨، ٩٧.

هذه المدرسة بالرصانة والقوة وسلامة القافية، والاحتفاظ بالنغم الموسيقي واللفظ المنتقي، ووضوح المعنى والصورة، والسير على نهج الأقدمين في نظام القصيدة.. [١].

**(جـ) آراء النقاد في شعر البارودي:**

يعد البارودي رائد نهضة شعرية كبيرة في العصر الحديث، حيث قام بدور كبير في إحياء التراث الشعري، وتمثله للنماذج الشعرية القديمة.. وربما كانت محكاة البارودي للأقدمين هي أنفع ما في شعره للأدب المصري الحديث لأنه كما يقول العقاد: " رد إلى المعاصرين يقين القدرة على مجاراة العباسيين والمخضرمين والجاهليين في ميدان اللغة والتراكيب بما أتقن معارضتهم في المذاهب والأساليب[٢] .

يقول الشاعر الكبير خليل مطران: " ولا أعرف رجلا كافح الردى مثلما كافحه البارودي، وطاعن خيلا من فوارسها مثلما طاعنها، وخاض وقائع الحياة مثلما خاضها وقد كان خلق الرجل عظيما وذكاؤه عظيما، وشعره عظيما فكان الثلاثة في مستوى واحد.. [٣].

كما يرى زكي مبارك أنه قد بقي للبارودي ما لم يبقى لأمثاله من رجال السيف، وبقي شغره المسطور على ضمير الزمان[٤] .

ويؤكد على مكانة شعر البارودي محمد حسين هيكل حيث يقول في مقدمته لديوان البارودي[٥]: " شعر البارودي حياته، فكل قصيدة في ديوانه صورة لحالة نفسية من حالات هذا الشاعر الملهم،

---

(١) ينظر: مدراس الشعر العربي في العصر الحديث، د. صلاح الدين محمد عبد التواب، صـ٧٣، ٧٢. ط ط المؤلف، ١٩٨٢م.

(٢) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، العقاد، صـ١٤١،، نهضة مصر، ط ١٩٦٣م.

(٣) أدب واجتماع، د. محمد صبري، صـ٥٩، مطبعة مصر، ١٩٥٠م.

(٤) زكي مبارك ونقد الشعر، إعداد كريمة زكي مبارك، صـ٦٠، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

(٥) مقدمة ديوان البارودى، محمد حسين هيكل، ت/ على الجارم، محمد شفيق، صـ٥، ١٥، ١٤، ١٦، دار المعارف مصر، ١٩٧٥م.

والديوان في مجموعه صـورة للعصـر الذي عاش فيه، وللبيئة التي أحاطت به، وللنهضـة المتوثبة في الحياة حوله.. وفي شـعر البارودي ظاهرة لعله لم يفطن لها أحد أول الأمر، فهو اعتمد في تصـويره الواقع على حاسـة النظر أكثر من اعتماده على سـواها فتصـوير المنظر صـفة بارزة في شـعر البارودي كله.. وذلك شـأنه بخاصـة فيما لم ينزع فيه إلى تقليد المتقدمين، بل لقد كان هذا التصـوير الروائي للمنظورات يغالبه وهو يقلد.. وبائيته المشـهورة التي قالها في صـباه معارضـا الشـريف الرضـي " لغير العلا مني القلى والتجنب"، والتي مطلعها:

سـواي بتجنان الأغاريد يطرب وغيري باللذات يلهو ويعجب

ففيها من التصوير شيء غير قليل.. كما ترى التصوير واقعيا في غير تقليد في بائيته التي مطلعها :

أين أيام لذتي وشبابي أتراها تعود بعد الذهاب

وهو في هذه القصيدة، يصف مشهدا لمصر تراه أعيننا، رآه هو ويصفه وصفا قويا يجعله ناطقا حيا، كله النشـاط والحركة.. وقد قال هذه القصـيدة وهو منفاه في سـرانديب يأسـف فيها على أيام الشباب ويحن إلى وطنه، فإذا الوطن صورة منظورة أمامه يرسمها رسم مصور بارع ".

**ولهذا تميز شعر البارودي بخصائص كثيرة منها**(١) :

- التقليد الواعي للقدماء، فلم تضع شخصيته في خضم التقليد للقدماء، فحافظ على عمود الشعر شأن فحول شعراء العربية في أزهى عصورها وكانت محاكاته جديدة ومعارضته جديدة .
- ظهور شـخصـيته قوية في شـعره فعبر عن نفسـه وعما في داخلها من مشـاعر ووجدانيات، وعن عصره .
- رد للشعر العربي قوته وحيوته وجزالته وربطه بعصور النور .
- امتاز شـعره بالعاطفة الصـادقة والتجارب الواقعية، والتعبير عن ذاته في وضـوح بإحياء العلاقة

(١) ينظر: التشابه والمفارقة بين الشعر الكلاسيكي الغربي والشعر العمودي العربي، د. عبادة إبراهيم أحمد، صـــ٤١، بحث مخطوط.

الحميمة بين الشعر وبين ذات الشاعر، باستجابته للبواعث الحقيقية التي تملي على الشاعر من ذات نفسه في تصوير خاطرة أو بث عاطفة أو التماح فكرة أو اهتزاز شعور .

- أزاح كل ما طمس رواء الشعر من ألوان البديع .
- استطاع أن يصوغ قصائده على نمط الشعراء القدامى في معظمها .
- كما كان للبارودي قصب السبق في إمامته لإحياء الشعر العربي الحديث من خلال محورين، بعث الأسلوب القديم في الشعر، تصوير الشاعر لنفسه وقومه وبيئته وعصره[١]

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر، د. شوقي ضيف، صـ٩١، دار المعارف، ط الثامنة، ١٩٨٣م.

## المبحث الثانـي

## عـلاقة البـارودي بالتراث

أصبح من المؤكد أن العلاقة بين الشاعر والتراث... تقوم بمجرد أن يبدأ الشاعر كتابة شعره؛ لأنه يتعانق مع التراث ابتداء من الموروثات اللغوية والأسـلوبية والموسـيقية، وانتهاء بالقضـايا والموضـوعات التي تملك تطورا ذاتيا واجتماعيا.. ومن ثم تتحرك علاقة الشاعر بالتراث عبر عصور ومذاهب ومدارس واتجاهات.. ويتكون بهذه الحركة ملمح التراث الخاص بكل عصر.. [١].

أما البارودي[٢] ؛ فإنه يصـوغ علاقة الشـاعر بالتراث، بوصـفه رائدًا للمرحلة الثانية من الإحياء، بتدرج واضح، يلفت النظر.. خاصة من خلال تعريفه للشعر الذي سمح لذات الشاعر أن تتحرك مع خياله في الوقت الذي تتحاور فيه حوارا جادا عميقا مع التراث السـابق عليه في عصـور ازدهاره.. والحوار مع التراث واستخدام الصيغ الأسلوبية الموروثة.. حيث يقول:

تكلمت كالماضـي قبلي بما جرت ... بـه عـادة الإنسـان أن يـتـكـلـمـا

ويضيف إلى هذه العادة، تكوينه النفسي سبب الخصوصية والعصرية يقول:

فـانظرْ لقولي تجدْ نفسـي مصـورةً ... فِي صَـفْحَتَيْهِ؛ فَقَوْلِي خَطُّ تِمْثَالِي

كما يوضح رأيه في الجديد والقديم ويرى أنها دورة زمنية فلابد من الإيمان بقدم الجديد، وانتظار الجديد باستمرار يقول:

إِذَا كَـانَ عُـقْـبَـانُ الْـجَـدِيـدِ إِلَـى بِـلَـىً ... فَلا فَرْقَ مَـا بَيْنَ الْحَـدِيـثِ وَلا الرَّسْـمِ

هَـلْ نَـحْـنُ إِلَّا مِـثْـلُ مَـنْ كَـانَ قَـبْـلَـنَـا ... فَسَـلْ عَنْ جَدِيسٍ أَيْنَ وَلَّتْ وَعَنْ طَسْـمِ

ومما سبق يؤكد على أن البارودي قد أحسن الإفادة من التراث، وقام بتوظيف الالتقاء معه بشكل واع وعميق.. وإذا كان البارودي قد أحسن التواصل مع التراث والإفادة منه؛ فإنه قد أحسن التعبير عن

(١) ينظر: الشاعر والتراث، د. مدحت الجيار، صـ٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٧م.

(٢) ينظر السابق، صـ٢٧٩، ٢٨٠.

ذاته وحياته.

وعن ذاتية البارودي ومردودها على الشعر العربي يقول الدكتور القط: " ما الذي جعل الناس يكبرون الشاعر البارودي كل هذا الإكبار ويتغاضون عن كثير مما في شعره من مظاهر التقليد البين.. أغلب الظن أن ذلك يعود إلى عنصر جديد رده البارودي إلى الشعر العربي بعد أن كان قد فقده قرونا طويلة، غلب عليها الاحتراف والمديح والإخوانيات والمناسبات، هو عنصر " الذاتية " وليس المراد بالذاتية أن يقتصر الشاعر على التعبير عن ذاته وعواطفه وتجاربه الخاصة وحدها، وإن كان ذلك من أهم مظاهر الذاتية بل أن يكون الشاعر كيان مستقل ونظرة متميزة للحياة والناس، ووجدان يقظ يرصد المجتمع والطبيعة والنفس الإنسانية، ومن المعروف أن حياة البارودي قد حفلت ــ منذ صباه ــ بكثير من التجارب والأحداث.. وقد فرضت هذه التجارب والمحن على الشاعر أن يرتد إلى ذاته، فينبعث في شعره من الحرارة والعواطف الممتزجة بالبصيرة الصادقة ما لا ينبع إلا من التجربة والملاحظة الدائبة للنفس والحياة "[1].

وعلي هذا، فإذا كان البارودي قد استمد بعض معانيه وصوره من القدماء، فإنه بلا ريب قد عبر عن واقعه وذاتيته تعبيرا رائعا.

ويتجلى هذا التعبير والذاتية في شعر البارودي على نحو ما قاله في غربته وهو يخوض الحرب في جزيرة كريت[2]:

أراكَ الحمى شوقي إليك شديدُ ... وصبري ونومي في هواك شريدُ

مضى زمن لم يأتني عنك قادم ... ببشرى ولم يعطف علي بريدُ

وحيد من الخلان في أرض غربة ... ألا كل من يبغي الوفاء وحيدُ

فهل لغريب طوحته يد النوى ... رجوع وهل للحائمات ورودُ

وهل زمن ولى وعيش تقيضت ... غضارته بعد الذهاب يعودُ

(١) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د. عبد القادر القط، صـ ٢٦، ٢٥. دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

(٢) ينظر السابق، صـ٢٧.

حيث يستطيع القارئ أن يربط بين الغربة المادية والروحية للشاعر، كما تبدو مشاعر الرومانسية والألم الوجداني في هذه الأبيات.. وهذا جانب كبير من التعبير عن ذاتيته.

لهذا يقول الدكتور مندور: " إن هذا الشاعر العظيم إن يكن قد تخير لشعره الثوب التقليدي؛ إلا أنه قد نسج خيوطه من خير ما وصلت إليه لغة الشعر العربي من قوة وجمال.. كما استطاع أن يطوع تلك اللغة التقليدية للتعبير عن أحاسيسه أو لوصف مشاهداته أو قص بعض أحداث عصره، بحيث يمكن القول إن هذه الدنان القديمة لم تزد شعره إلا قوة وجلالا " [١].

ومن هنا تميزت تجربة البارودي من خلال علاقته بالتراث أن يعيد صوت الشاعر القديم.. وقد ظهر ذلك من خلال انهماكه الشديد في الشعر العربي القديم ومختاراته، ومن خلال نماذجه التي استوعبت أشكال التعبير وصيغه التي تواترت في التراث الشعري القديم.. كما استطاع أن يجعل من تجربته الشخصية ركيزة هامة لشعره.. وهذا ما ظهر في الجوانب الذاتية لشعره.. ولذا جمع البارودي بين الكلاسيكية القديمة والجديدة ـ فالقديمة التي جارت القدماء لفظا ومعنى، والجديدة التي اتخذت

(١) الشعر المصري بعد شوقي (الحلقة الأولى بين القديم والجديد)، د. محمد مندور، صـ٢١، نضة مصر، ط٢٠٠٣م.

# الفـصل الثـاني

## إحياء التراث الشعري وأنماطه عند البارودي.

وفيه:

### المبحث الأول ـ (الجانب النظري)

**وتتضح ملامح هذا الجانب النظري في صور هي:**

١ـ **تصوره لمفهوم الشعر**، يقول البارودي: " الشعر لُمعة خيالية يتألق وميضها فى سماوة الفكر، فتنبعث أشعتها إلى صحيفة القلب فيفيض بلألائها نوراً يتصل خيطه بأسلة اللسان، فينفث بألوان من الحكمة ينبلج بها الحالك، ويهتدى بدليلها السالك. وخير الكلام ما ائتلفت معانيه، وكان قريب المأخذ، بعيد المرمى، سليمًا من وصمة التكلف، بريئًا من عشوة التعسف. غنيًا عن مراجعة الفكرة، فهذه صفة الشعر الجيد، فمن آتاه الله منه حظا، وكان كريم الشمائل، طاهر النفس، فقد ملك أعنة القلوب، ونال مودة النفوس.. [١] .

ومن خلال تصور البارودي لمفهوم الشعر، نجده يركز على الجانب الذهني.. بالإضافة إلى الجانب الأخلاقي في تهذيب الشعر للنفوس .

٢ـ اقتفاؤه أثر الشعراء القدماء :

حيث يقول منوها ببعض فحول الشعراء الذين أعجب بهم، فسلك سبيلهم، ونسج على منوالهم..[٢].

مضى (حسنُ) في حلبة الشعر سابقًا ... وأدرك لم يُسبق ولم يأل مسلمٌ وبارهما

وبارهما (الطائيٌ)فاعترفتْ له ... شهودُ المعاني بالتي هي أحكم

و أبدع في القول (الوليد ) فشعرهُ ... على ما تراه العين وشي منمنمُ

وأدرك في الأمثال (أحمد ) غايةً ... تبدأ الخطى ما بعدهما متقدمُ

وسرت على آثار هما ولربما ... سبقت إلى أشياء والله أعلمُ

(١) مقدمة ديوان البارودى، ت/ على الجارم، محمد شفيق، صـ٧. دار المعارف مصر، ١٩٧٥م.

(٢) ديوان البارودى، ج٣/ ٤٢٩ـ ٤٣١.

وفي هـــــذا إشارة إلى الشعراء: وهم أبو نواس الحسن بن هانئ، ومسلم بن الوليد الأنصاري، وأبو تمام حبيب بن أوس الطائي، وأبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري، وأبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي.. كما ينوه البارودي بأن أبا نواس سبق في حلبة الشعر، وفاق غيره من الشعراء، وباراه مسلم بن الوليد، فأدركه ولحقه غير سابق له، وغير مقصر من منزلته.. كما يرى بأن أبا تمام بارى أبا نواس ومسلم بن الوليد وإن المعاني في شعره تشهد باتجاهه إلى الحكمة ومن كلام بعض قدامى النقاد أبو تمام والمتنبي حكيمان وإنما الشاعر البحتري.... ولم ينس البارودي أن يفتخر بنفسه.. واعتزاز الشاعر بشعره حتى في حديثه عن هؤلاء الفحول.. ويشير إلى السبق والتجديد..

**٣ـ مختاراته الشعرية التي جمعها من عيون الشعر العباسي**، وتضمنت ثلاثين شاعرا من كبار الشعراء، وقام البارودي بترتيبها على أبواب المدح، والرثاء، والوصف والنسيب، والهجاء، والزهد، ورتبها زمنيا من عصر بشار وانتهاء بابن عُنين وفكرة الاختيارات فكرة قديمة في التراث الشعري، نهض بها كثير من الشعراء أو النقاد كالمفضل الضبي في المفضليات والأصمعي في الأصمعيات وكأبي تمام في الحماسة... وتم تحقيق هذه المختارات وترجمة الشعراء ترجمة وافية.. وهذا العمل يوضح حرص البارودي على اهتمامه بالتراث وترسم خطى هؤلاء الشعراء الكبار. ولا شك أن اقتصار[١] البارودي في اختياره على العصر العباسي يحدد رؤيته ببلوغ الشعر العربي في هذا العصر قمة النضج وتمام التجربة الفنية، من حيث عمق الفكرة واتساع المعنى واستخدام عناصر مؤثرة في الصنعة الشعرية، وكل ذلك يتيح لدراس شعر البارودي فرصة إدراك مصادر تأثره بالشعر العربي القديم، والقيم الفنية التي كان حريصا على تحقيقها. كما أن المنهج الذي اختطه البارودي في مختاراته يكاد يكون محتذيا لمنهج أبي تمام في حماسته.. وكان ترتيبه للشعراء على أساس تاريخي وهو ترتيب صحيح لم يخل البارودي بشئ منه.. ويختلف منهج البارودي في مختاراته عن أبي تمام في نقطتين: أولاهما اقتصاره على الاختيار من

(١) ينظر: مختارات البارودي، محمود سامي البارودي، تحقيق وشرح، مجموعة من الباحثين، صـــ٨ــ ١١، إشراف د. محمد مصطفى هدارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالاشتراك مع مؤسسة جائزة سعود الباطين للإبداع الشعري، ط١٩٩٢م.

شعر المحدثين، وثانيها: عدم اقتصاره على أبيات قليلة "

وكان الهدف من وراء هذه الاختيارات في رأي البارودي " أن يتحف الأدباء من أهل عصره بمجموعة مختارة من شعر فحول الشعراء المولدين، لتكون عون للناشئين على طبع ملكة البلاغة"[١].

(١) ينظر: محمود سامي البارودي شاعر النهضة، د. علي الحديدي، صـ٤٤٠، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١٩٦٩م.

## المبحث الثاني

## (الجانب التطبيقي)

وتتضح معالم هذا الجانب في عدة اتجاهات هي:

**١ـ بدأ القصيدة بالبناء التقليدي،** حيث يجد القارئ لشعر البارودي أن القصيدة تتعدد موضوعاتها وفق نسق نظام معهود عند الشعراء القدامى، من الوقوف على الأطلال وبكاء الديار، والغزل، ووصف الرحلة... ثم ينتقل بعد ذلك إلى الغرض الأساس: ومن ذلك قصيدته التي يقول فيها[١] :

ألا حي من أسماء رسمَ المنازل وإن هي لم ترجع بيانًا لسائل
خلاء تعفتها الروامس والتقت عليها أهاضيب الغيوم الحوافل
فلأيا عرفت الدار بعد ترسم أراني بها ما كان بالأمس شاغلي

حيث افتتح البارودي القصيدة بالغزل، وشكوى البين والفراق، ثم انتقل إلى الوفاء لأحبائه واستغرق منه خمسة عشر بيتا.. ثم انتقل إلى الفخر بعد ذلك ووصف جواده ثم الصيد.. ثم انتقل إلى الغرض الأساس وهو مدح الخديوي.. وفي هذا محاكاة لفحول الشعراء القدامى.. ومن خلال قراءة القصيدة كلها، نجد أن البارودي راعى النمط البنائي للقصيدة الجاهلية المتعددة... في ذكر خولة، أو مية، وهذا يوضح أن الشاعر هضم التراث واستوعبه، واستطاع أن يجاريه بمهارة شديدة.

**٢ـ اشتمال شعره على كثير من الأفكار والعناصر التراثية:** فمن خلال قراءة بعض أشعاره، نجده يتأثر بمعاني القدماء ومن ذلك قوله[٢]:

رضيت من الدنيا بما لا أوده وأي امرئ يقوى على الدهر زنده
وما أنت بالحرمان إلا لأنني أود من الأيام ما لا توده

(١) ديوان البارودى، ج٣/ صـ١٣٦.

(٢) السابق، ج٢/ صـ٢٢٢.

**٣ـ احتذاؤه للظواهر الأسلوبية** التراثية ومن ذلك قوله مفتخرا بقومه(١):

لـهـم عـمـد مـرفـوعـة ومـعـاقـل وألـويـة حـمـر وأفـنـيـة خضـر

ولعله متأثر بقول الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم(٢) :

بـأنـا نـورد الـرايـات بـيضـا ونصـدرهـن حـمـرا قـد روينـا

ومن تأثره بالظواهر التراثية قوله (٣) :

إذا لـم يـكـن إلا الـمـعـيشـة مـطـلـب فـكـل زهـيـد يـمسـك الـنـفس جابر

فالبارودي متأثر بامرئ القيس في قوله(٤):

ولـو أن مـا أسـعـى لأدنـى مـعـيشـة كـفـاني ولـم أطـلـب قـلـيـل مـن الـمـال

**٤ـ معارضته للشعراء القدامى:** برزت في شعر البارودي ظاهرة المعارضات الشعرية، ومن خلالها وضح مدى تعلقه بشعر القدماء.. وظهرت قدرته أيضا على محاكاتهم بل وربما أظهر تفوقا في بعض معارضاته.. وهو الذي عارض عنترة حينما قال عنترة(٥):

هـل غـادر الشـعـراء مـن مـتـردم أم هـل عـرفـت الـدار بـعـد تـوهـم

حيث عارضها البارودي بقصيدة من أجمل شعره، استهلها بقوله(٦) :

كـم غـادر الشـعـراء مـن مـتـردم ولـرب تـال بـذ شـأو مـقـدم

في كـل عصـر عـبـقـري لا يـفـي يـفـري الـفـرى بـكـل قـول مـحـكـم

فهو يرى أنه مع معارضته؛ إلا أن شخصيته لا تفنى مع المعارضة، بل يتفوق على من يعارضه.

---

(١) ديوان البارودي، ج٣/ صـ١٣٦

(٢) المعلقات العشر، صـ١٢٤.

(٣) ديوان البارودي، ج٢/ صـ١٣٦.

(٤) ديوان امرئ القيس، صـ١٤٥.

(٥) ديوان عنترة، صـ١٥، بيروت للطباعة ١٩٦٥م.

(٦) ديوان البارودي، ج٣/ صـ٤٢٩.

عارض البارودي أيضا من الجاهليين الشاعر الكبير النابغة الذبياني في قوله[١] :

أمـن آل مـيـة رائـح أو مـغـتـدي عـجـلان ذا زاد وغـيـر مـزود

فيعارضه البارودي بقوله[٢] :

ظـن الـظـنـون فـبـات غـيـر مـوسـد حـيـران يـكـلأ مسـتـنـير الـفـرقـد

كما عارض الشريف الرضي في قصيدته التي يقول فيها[٣]:

لـغـيـر الـعـلـى مـنـى الـقـلا والـتـجـنـب ولولا العلى ما كنت في الحب أرغب

حيث عارضها البارودي بقوله[٤]:

سـواي بـتـحـنـان الأغـاريـد يـطـرب وغـيـري بـالـلـذات يـلـهـو ويـلـعـب

ومن خلال قراءة نص البارودي وخاصة من خلال معارضاته، يتكشف لنا ظهور الأنا عنده وأن البارودي حينما أراد الخروج على النسق الثقافي التراثي وقع في شراكها ومن ذلك قوله[٥]:

فـمـا كـل من حـاك الـقـصـائـد شـاعـر ولا كـل مـن قـال الـنـسـيـب مـتـيـم

فـإن يـك عصـر الـقـول ولـى فـإنـنـي بـفـضـلـي وإن كـنـت الأخـيـر مـقـدم

فالشطر الأول لا نستطيع أن نخلص من قول علي بن الجهم:

فـمـا كـل مـن قـاد الـجـيـاد يسـوقـهـا ومـا كـل مـن أجـرى يـقـال لـه مـجـرى

كما أننا في الوقت نفسه لا نستطيع أن ندفع عن ذاكرتنا ـــ قلما قرأنا الشطر الثاني قول المتنبي المعروف :

إن كـان مـدح فـالـنـسـيـب مـقـدم أكـل فصـيـح قـال شـعـرا مـتـيـم

(١) المعلقات العشر، صـ١٢٤.

(٢) ديوان البارودي، ج١/ صـ١٢٩.

(٣) ديوان الشريف الرضي، ج١/ صـ١١٠

(٤) قراءات نقدية بين التأسيس والممارسة، د. عبد الناصر حسن، صـ٢٨٩، ٢٨٨، الهيئة العامة للكتاب، ط، ٢٠١٢م.

(٥) السابق الصفحة نفسها.

وفي قول البارودي: بفضلي وإن كنت الأخير مقدم ليس بعيدا أبدا عن قول أبي العلاء :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

وهكذا كانت محاكاته للأقدمين جديدة، وكانت معارضه إياهم جديدة، وكانت رياضته على مثالهم جديدة.. على حد قول الدكتور. محمد حسين هيكل في مقدمته لديوان البارودي.

وفي سياق فن المعارضة إظهار لقدرات الشاعر على مستويين[١]:

١- القدرة على استلهام الموروث وتمثله واستيعابه والإفادة منه صورا وتراكيب ومحتوى ومواقف وتاريخ .

٢- المحافظة على دفء التجربة وخصوصية الذات دون الفناء في الموروث أو الحرج من شبهة التورط في السرقات الأدبية... وبذلك جمع الشاعر الإحيائي بين ميزتين :

**الأولى:** إحياء القصيدة العربية وبعثها من جديد، مع معالجة أحداث الواقع ورؤى المستقبل عبر شعر شعراء المدرسة .

**الثانية:** محاولة إبراز التميز والقدرة على منافسة القدماء بمعارضتهم شعريا كلما تقابلت المواقف وتلاقت الأشباه والنظائر .

(١) ينظر: مدارس الإبداع والنقد (صيغ التواصل)، د. عبد التطاوي، صـ١٢٣.

## الخاتمــة

بعد هذه الرحلة القصيرة مع إحياء التراث الشعري عند البارودي، يمكن التوصل إلى أهم النتائج التالية :

- أن أولى خطوات إحياء أدبنا العربي الحديث، كان بالرجوع إلى الماضـي، وتمثله ومحاكاته... ثم تجاوزه وتخطيه؛ لأنه يمثل الحاسة التاريخية بكل أنساقها الثقافية .
- كان للبارودي دور كبير في إحياء الرموز اللغوية القديمة التي عرفتها العربية في عصورها الزاهرة .
- كان لإحياء التراث الشعري دور كبير في تأصيل شخصية البارودي ثقافة، ومنهجا .
- أن شـعراء مدرسـة الإحياء عمقوا تجربة البارودي، وسـاروا على نفس الأسـلوب الذي سـار عليه البارودي، وهذا جعل ارتباطهم بالماضي آكد.. والاتكاء عليه أكثر .
- لا يزال مطلب الكشف عن تجليات التراث الشعري ودوره في بنية ثقافتنا العربية مدخلا أصيلا إلى العمل على إحيائه وإعادة قراءته .
- كانت مدرســة الإحياء والبعث فاتحة خير للمدارس التي أعقبتها.. لأنها لم تتوقف عند ما انتهت إليه هذه المدرسة، وإنما تجاوزوا ذلك لطرح رؤى جديدة للشعر العربي .
- أمانة المرجعية وصدق التواصل ــ مع التراث الشعري ـــــ التي اتصف بها شعراء الإحياء وعلى رأسهم البارودي .

**أما عن التوصيات فمن أهمها :**

- ينبغي أن نجعل التراث بصـفة عامة مشـروعا قوميا، وعلى أبناء الأمة معاودة النظر في قراءته.. وهذا يتطلب من الهيئات والمؤسـســات العلمية أن تجدد المادة المقروءة بما يعرف بأسـاطين الفكر وأقطاب العلوم العربية في فترة مده وازدهارها.. وهذا هو الضمان الآمن لثقافة التواصل.
- تنمية الذاكرة الشبابية من خلال تيسير ما يقدم لهم من المقروء التراثي .

## فهرس المراجع


- أدب واجتماع، د. محمد صبري، مطبعة مصر، ١٩٥٠م.
- الشاعر والتراث، د. مدحت الجيار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٧م.
- تطور الأدب الحديث في مصر، د. أحمد هيكل، دار المعارف، ط٣، ١٩٩٩م .
- ديوان البارودي، ت/ على الجارم، محمد شفيق، دار المعارف مصر، ١٩٧٥م. – ديوان عنترة، بيروت للطباعة ١٩٦٥م.
- الشريف الرضي، حياته ودراسة شعره، د/ عبد الفتاح الحلو، ط هجر، أولي ١٩٨٦م.
- ديوان امرئ القيس، رواية الأصمعي، دار المعارف، ط١٩٨٤م.
- ذاكرة للشعر، د. جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة، سنة ٢٠٠٢م .
- ذيل تاريخ الأدب العربي الحديث، كارل بروكلمان، ترجمة سعيد حسن بحيري مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٧م .
- شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي. أ. العقاد. نهضة مصر، ط
- قراءات نقدية بين التأسيس والممارسة، د. عبد الناصر حسن، الهيئة العامة للكتاب، ط، ٢٠١٢م.
- الأدب العربي المعاصر، د. شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ط، ١٩٨٨م،
- البارودي رائد الشعر الحديث، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٥، ١٩٨٨م .
- دراسات نقدية في الشعر والقصص، د. حلمي بدير، دار الثقافة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٣م .
- ديوان الشريف الرضي.
- ديوان امرئ القيس، رواية الأصمعي، دار المعارف، ط١٩٨٤م.

- شـرح المعلقات السـبع، للزوزني، تحقيق طه عبد الرؤوف سـعد، مكتبة دار الحرم للتراث، ط١، ٢٠٠٦م.
- في الأدب الحديث، أ/ عمر الدسوقي،، دار الفكر، ط٨، ١٩٧٣م.
- مدارس الإبداع والنقد (صـيغ التواصـل)، د. عبد الله التطاوي، دار غريب للطباعة والنشـر، ٢٠١٦م .
- مدراس الشـعر العربي في العصـر الحديث، د. صـلاح الدين محمد عبد التواب، ط المؤلف، ١٩٨٢م.

## فهرس الموضوعات

المحتويات

الملخـــص..... ٩٦١
المقدمـــة..... ٩٦٤
التمهيد..... ٩٦٩
الفصل الأول: (مدرسة البارودي الشعرية. وعلاقته بالتراث). ..... ٩٧٥
المبحث الأول..... ٩٧٥
(أ): مدرسة البارودي الشعرية(الإحياء).. مرحلة فارقة في إحياء التراث الشعري: . ٩٧٥
(ب): شاعرية البارودي:..... ٩٧٧
المبحث الثاني: عـلاقة البـارودي بالتراث. ..... ٩٨٢
الفـصل الثـاني: إحياء التراث الشعري وأنماطه عند البارودي..... ٩٨٥
المبحث الأول ـ (الجانب النظري)..... ٩٨٥
المبحث الثاني (الجانب التطبيقي)..... ٩٨٨
الخاتمـــة..... ٩٩٢
فهرس المراجع..... ٩٩٣
فهرس الموضوعات..... ٩٩٥